

حين حضرت الوفاة معاوية وجد ضميره مثقلا بأشياء عبرت عنها كلماته التي قالها في مرضه الذي توفى فيه ، منها هذا الملك وهذا السلطان الذي جاهد عليه حتى انتزعه انتزاعا ، ومنها قلقه على ابنه يزيد ، وإن كان قد انتزع له البيعة قبل أن يموت ، فيوجه إليه هذه الوصية التي يقول فيها :

يا بني ، إني قد كفيتك الشد والترحال ، ووطأت لك الأمور ، وذلت لك الأعداء ، وأخضعت لك رقاب العرب ، وجمعت لك ما لم يجمعه أحد ، فانظر أهل الحجاز ، فإنهم أصلك ، أكرم من قدم عليك منهم ، وتعهد من غاب .

وانظر أهل العراق ، فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملا فافعل ، فإن عزل عامل أيسر من أن يُشهر عليك مائة ألف سيف .

وانظر أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك (أى موضع شرك) فإن رابك من عدوك شيء فانتصر بهم ، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم : فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم تغيرت أخلاقهم .

وإني لست أخاف عليك أن ينازحك في هذا الأمر (الخلافة) غير